

هوية "حنظلة" في الخطاب الإشهاري العربي "سنعود"
The Identity of "Handala" in Arab Advertising Discourse: «We Will
Return»

* درامية فريدة

: Dramenia Farida

مخبر الدراسات الاستشرافية الحماية اللغوية والاجتماعية
جامعة أم البواقي (الجزائر)

Oum El Boughi university (Algeria)

Drameniafarida23@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/02	تاريخ القبول: 2024/10/11	تاريخ الإرسال: 2024/09/15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

شغلت القضية الفلسطينية كل الوسائل سواء المكتوبة أو المسموعة أو السمعية البصرية، وأخذت
التصويب الأوفر - على اعتبار أنها موضوع الساعة- في الخطابات الإشهارية العالمية والعربية، وتناولها كل من
وجهة نظره.

وقد اختلفت هذه الوجهات حسب الانتماء العرقي والتاريخي والديني، وإن كانت معظمها تصب في
قالب المؤازرة الإنسانية خاصة لسكان قطاع غزة وبالأخص ما يحدث للأطفال من تيتيم وتهجير وتجويع
وتقتيل... وغير ذلك.

أطل علينا الخطاب الإشهاري العربي الكويتي في شهر رمضان بمرافعة زين لرمضان 2024... سنعود،
معالجا واقع الطفولة الفلسطينية حاليا ممثلة في مجموعة أطفال يمثلون أدوار شخصية حقيقية، مع استحضار
شخصية كاريكاتورية معروفة بالطفل الذي لم يكبر، وهي شخصية "حنظلة".

وُلد "حنظلة" مع الفلسطيني "ناجي العلي"، ويمثل هوية الطفل الفلسطيني الذي لم يفارق كل
رسوماته الساخرة، والتي طرحت موضوع القضية الفلسطينية من وجهة نظر "ناجي"، "حنظلة" هو طفل
صاحب عشر سنوات، يده دائما خلف ظهره، لم يظهر وجهه في أي رسم كاريكاتوري، ودائما حافي القدمين،
ويرتدي ملابس قديمة.

* درامية فريدة Drameniafarida23@gmail.com

لقد أعاد الخطاب الإشهاري «سنعود» إحياء "حنظلة" في صورة متحركة مع مجموعة أطفالٍ ناقلاً همومهم التي طرحوها للعالم وآمالهم.
الكلمات المفتاح: الخطاب، الإشهار، الكاريكاتير، حنظلة، الطفولة، فلسطين.

Abstract:

The Palestinian cause has permeated various media platforms, and has garnered significant attention as a current and urgent topic in both global and Arab advertising discourse, with each party presenting its perspective. These perspectives vary based on ethnic, historical, and religious affiliations, though most align with humanitarian solidarity, especially regarding the people of Gaza, with a particular focus on the suffering of children.

In Ramadan 2024, Kuwaiti Arab advertising delivered a message with Zain's campaign titled "We Will Return", which addressed the plight of Palestinian children today, represented by a group of children. The campaign also featured the well-known caricature figure "Handala," a character synonymous with Palestinian resistance.

The "We Will Return" campaign revived Handala in animated form, alongside a group of children, communicating their struggles and hopes for a brighter future.

Keywords: Discourse, Advertising, Caricature, Handala, Childhood, Palestine.



مقدمة:

تُعد قضية فلسطين من بين القضايا الأكثر طرحاً في عصرنا هذا، وقد أُلِّفنا -قبلاً- نقل الوقائع عبر كتب التاريخ، أو عبر وسائل الإعلام (الإذاعة والتلفاز، الصحف...)، وقد عالجَت الصحف العربية الحدث، وبذكر الصحافة المكتوبة لابد من الحديث عن فن الكاريكاتير الذي ترجم واقع ومعاناة الفلسطينيين وموقف العالم منهم بطريقة ساحرة جمعت بين الخطاب الّلساني والصورة الثابتة من خلال شخصية بارزت تمثلت في "حنظلة".

وها نحن اليوم في عصر غزت فيه الخطابات الإشهارية/ الإعلانات حياتنا، وقد ظهر في شهر رمضان من هذه السنة إعلان عربي كويتي وُسم بـ «سنعود» معالجا التطورات الأخيرة للقضية الفلسطينية/ غزة وللأطفال، موظفا شخصية "حنظلة".

لقد وُلِدَ «حنظلة» في الصحف الكويتية، وانتقل من فن صامت إلى فن حركي -من الرسم إلى الإشهار- والإشكال المطروح: ما الذي تمثله شخصية "حنظلة" في الخطاب الإشهاري «سنعود»؟ نهدف في هذا المقال إلى البحث عن تمثيلات القضية الفلسطينية في فكر الخطاب الإشهاري العربي، كما نحاول الكشف عن تركيبة أطفال فلسطين ووعيمهم بقضية وطنهم. تضمن المقال عنصرين هما: ماهية فن الكاريكاتير والخطاب الإشهاري، وهوية "حنظلة" في الخطاب الإشهاري «سنعود».

أولا: ماهية فن الكاريكاتير والخطاب الإشهاري

امتلك الإنسان وسائل عدّة للتعبير عن واقعه وما يعيشه، ومن بين هذه الوسائل الرسم الكاريكاتوري/ الساخر والخطاب الإشهاري، وهما وسيلتان متشابهتان لدرجة أن الأولى عبارة عن خطاب مكتوب وصور ثابتة، والثانية هي خطاب مكتوب ومنطوق وصور ثابتة ومتحركة؛ هذا يعني أن الكاريكاتير فن جامد أمّا الإشهار فهو فن يعتمد الحركة.

I. فن الكاريكاتير:

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن الكاريكاتير هو عبارة عن رسومات ساخرة مضحكة، وهو كذلك يعتمد الكاريكاتوري على الرسم المضحك ولكن ليس الغرض منه الضحك أو المتعة، بقدر ما يهدف إلى نقل واقع تاريخي أو سياسي أو اجتماعي... أو غير ذلك بأسلوب مضحك يحمل الكثير من الدلالات والأنساق المضمرّة، ولذلك فليس كل رسام قادر على أن يرسم كاريكاتورا ولو كان «بيكاسو»، بل لابد أن يكون واعيا بمجتمعه مثقفا.

«وبفضل قدرة الكاريكاتير على التعبير عن الأفكار بصورة واضحة، أصبح الكاريكاتير اليوم لغة الإعلان، ولغة الاحتجاج أو الاحتفال أو بطاقة المعايدة، ووسيلة الدعاية لأيّ بضاعة أو تجارة في المجلات وعلى شاشة التلفزيون...».

يمكن القول إن فن الكاريكاتير يشبه إلى حد بعيد الاستعارة في البلاغة العربية، أو هو فن التلميح لا التصريح، ولأنّ له القدرة الكبيرة على التعبير فإنّه يمكن استخدامه في مجالات ومواضيع شتى، وعلى هذا الأساس قُسم فن الكاريكاتير -حسب الموضوع- إلى كاريكاتير صحفي وكاريكاتير تجاري... وغير ذلك. ومن أشهر أنواعه السياسي والذي أبدع فيه الفلسطيني «ناجي العلي» في الساحة العربية.

II. الخطاب الإشهاري / الإعلان:

إذا كان فن الكاريكاتير هم نقل الواقع بِشَفَرَة صامتة، فإنّ الإشهار أو الإعلان هو نقل الواقع بتلميح ناطقٍ.

«وبداية نُشير إلى أنّه على مستوى اللغة العربية هناك تعبيران يستخدمان في مجال الحديث عن الإعلان على المستوى المهني (الممارسة) وعلى المستوى الأكاديمي التعليمي والبحثي، حيث تستخدم كلمة «الإعلان» في دول المشرق العربي (...)، في حين تستخدم كلمة «الإشهار» للتعبير عن نفس المعنى في دول المغرب العربي (...)².

لا يوجد اختلاف بين مصطلح الإشهار والإعلان، حيث إنّ الاختلاف يكمن في استخدام اللفظ في حدّ ذاته بين المشرق العربي ومغربه، وهذا ما يعود دائماً إلى الترجمة.

ظهر الخطاب الإشهاري حديثاً في الساحة العربية بعدما تأثر بالتيار الغربي، وكفن الكاريكاتير تماماً فإنّ الإشهار يختلف ويُقسم حسب المواضيع المعالجة؛ فهناك إشهار سياسي وآخر تجاري وآخر ثقافي... وغير ذلك. ولكن المُلَفّت للانتباه هو أنّ الخطاب الإشهاري العربي اليوم تطور بصورة مفاجئة، وليس كل منتج قادر على النجاح في إنتاج خطاب إشهاري له صدى كبير.

يُشترط في كاتب النصّ الإشهاري إجادته للغة الأم إضافة إلى لغتين أو ثلاث عالمية، وأن يكون ملماً بثقافة وقيم مجتمعه، إضافة إلى معرفته لتاريخ الأمة وعلم العلامات، كما يجب أن يُحيط بالوضع السياسي والثقافي والاقتصادي للدولة التي يُشهر فيها، إضافة إلى درايته بنفسية المشاهد.³

الأمر يُشبه الرسّام الكاريكاتوري أيضاً، لا يمكن لأيّ شخص أن يُنتج خطاباً إشهارياً، فلا بد أن يكون متشعب الثقافات، ففي الدول المتقدمة لا يمكن تقديم خطاب إشهاري إلّا بحضور متخصصين كل في مجاله.

ثانياً: هوية "حنظلة" في الخطاب الإشهاري «سنعود»

إذا كان "ناجي العلي" قد أبدع في رسوماته الساخرة بتمثل القضية الفلسطينية وجعل "حنظلة" هو الشخصية الرئيسة والفاعلة، فقد لجأ الخطاب الإشهاري المعاصر إلى الاستنجد بشخصية "حنظلة" وتوظيفها في إشهارات سياسية تكشف واقع معاناة الشعب الفلسطيني عامة وأطفاله خاصة.

ينقل لنا الخطاب الإشهاري المعنون بـ (مرافعة زين لرمضان 2024... سنعود)⁴ واقع العالم والشعوب الضامنة، ومرارة الفلسطينيين في أرضهم المسلوبة.

قسمنا هذا الخطاب إلى ثلاث محطّات هي:

I. الخطاب المكتوب.

II. الخطاب المنطوق.

III. الصور المتحركة.

I. الخطاب المكتوب:

حمل إعلان «سنعود» خطابين ومجموعة من الصور سواء المتحركة أو الثابتة، وقد وجدنا العديد من الخطابات المدونة «تعتمد اللغة الإشهارية على الشعارات والعبارات المختصرة التي تشبه إلى حد ما الأمثلة الشعبية في وظائفها وبنائها، فهي تختزن المعاني وتتميز بالوضوح والمباشرة، وتخفي وراءها قصة ذات دلالات هادفة...»⁵ وهذا يعني أنّ لغة الإشهار قد تكون مباشرة أو تلميحاً، وهذا ما تضمنه الخطاب المكتوب في الإعلان.

حمل هذا الإشهار خطابات مكتوبة عدّة، وكلّ خطاب دلالات وأنساق مضمرّة سنحاول كشفها، إضافة إلى أنّ الخطاب كُتب باللغتين العربية والإنجليزية.

«لأنّ الكبار سكتوا سيترفع الأطفال... وستنصفنا الشعوب إذا ميزان الساسة مال»

«When adults remain silent, children's voices will plead and if the political scale tips, people's justice will lead»

لقد صممت العالم كلّهُ ضد ما يحدث للفلسطينيين هذا العام، ولأنّ المجلس الدولي للأمن يحكمه الكبار فقد ترفع عليهم الأطفال، ما نلاحظه في هذا الإعلان هو نقل صورة الأطفال فلسطين / غزة، هؤلاء الذين مثلوا "حنظلة" فعلاً، أطفال لم يخوفهم القصف ولم يهدمهم الجوع ولم يتراجعوا عن تمسكهم بحق العودة، لقد جمع منتج هذا الإشهار بين شخصية "حنظلة" الطفل والأطفال الذين ترفعوا ضد موقف العالم في مجلس الأمن من أجل استرداد حقوقهم، فعندما يَعرُفُ الحكم عن تطبيق العدالة فإنّ الشعب سيلتقطها. كتب الخطاب الثاني باللغة العربية فقط، «كل من قتل هنا...»

ناجي

في حقيقة الأمر العبارة هي: «كل من قتل هنا...» وأمامها خريطة فلسطين، وتحت العبارة اسم صاحب كاريكاتور "حنظلة" المقتول "ناجي".

الملاحظ أنّ العبارة/ الخطاب حملت مصطلح القتل والذي هو حتمية للفلسطيني، وأخذ المنتج الإشهاري من الرسام الكاريكاتوري اسمه الدال على متناقض القتل "ناجي" أو النجاة.

يعني: قتل ≠ ناجي / موت ≠ حياة.

عند تتبع التاريخ الفلسطيني خاصة المعاصر منه، نجد بأنّ فلسطين المباداة والتي يُقتلُ فيها الفلسطينيون من طرف الصهاينة لم تندثر ولم تباد، بل تمثل للعالم بأسره النجاة وهي رمز الحياة والولادة الدائمة.

وهذا ما نجده في الخطاب المكتوب الأخير «سنعود لا أرض لكم لا ميعاد ومع كل شهادة وفاة نُحتم، تكتب ألف شهادة ميلاد».

«I Shall return, no land is yours, no pronounced fate for each death certificate sealed, a thousand birth»

يكشف هذا الخطاب الدلالة التاريخية عن حقيقة تشرد الصهاينة الذين لا يملكون أرضاً ولا تاريخ، فهم فئة دون هُويّة، كما يعلن هذا القول عن تحدي الفلسطينيين للعالم وللصهاينة عندما يرون في الشهادة – الشهيد- تاريخ ميلادٍ جديدٍ.

II. الخطاب المنطوق:

وهو الخطاب الأكثر شيوعاً في هذا الإشهار، وقد تناوب عليه كلٌّ من الزاوي و"حنظلة" والأطفال. حمل الخطاب المنطوق الذي أصدره الزاوي أصوات متعدّدة تنادي بمقولات أو خطابات تناولتها وسائل الإعلام في نقل المشهد التاريخي للقضية الفلسطينية بداية من شهر أكتوبر لهذه السنة (2024) فنجد مقولة الجُدّ "أبو ضياء نهبان": «روح الروح، هاي روح الروح»

«She's the saul of my soul, the soul of my soul»

العبارة والصورة التي اخترقت حدود العالم وأبكت كل من له قلب إنساني، هذا الخطاب من بين الخطابات التي لقت صدىً عالمياً في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. لا أحد يعرف هذه الشخصية سواء الجد أو الحفيدة، ولكن العبارة التي رددت «روح الروح» هي التي رُسخت في الأذهان.

تأتي بعد ذلك عبارة «كمال» الأخ لأخيه وأخوته الذين استشهدوا «يا كمال»

«Oh Kamel»

وهو آخر ما رده الأخ لأخيه حتى غطت الحجارة فمه ومات، ومن هول الصدمة بقي "كمال" يردد آخر ما قاله أخاه: «يا كمال».

ثم يأتي صوت الطفل الذي يتودد من أمه مخاطباً إياها وهي تحت الركاب: «خليكي معي أمانة»

«please, stay with me»

خطاب يُبكي القلوب، حيث يرجو هذا الطفل من أمّه أن تبقى على قيد الحياة وأن لا تفارقه، وهو مشهد ألفه أطفال فلسطين كثيراً.

آخر الخطابات الصوتية كان لأم "يوسف": «شعره كيرلي، أبيضاني وحلو»

«His hair is curly, fair and sweet»

جاء هذا الخطاب إثر بحث الأم عن ابنها "يوسف" في المستشفى مع والده الطبيب، ليصطدما بأن ابنها هو شهيد من بين الشهداء الذين مروا على طاقمه الطبي.

قامت الأم بوصف ابنها الشهيد بلون شعره وبشرته وأضافت له صفة حلو / جميل.

الملاحظ أن مشهد الجد وحفيده (الطفلة)، والأخ مع أخيه (الطفل)، والابن مع أمه (الطفل)، إضافة إلى مشهد الأم وابنها (الطفل)... كلها مشاهد ارتبطت بالبراءة/ الأطفال، طفولة حُرمت من كل حقوقها في غزة/ فلسطين، وهي معادل موضوعي لشخص "حنظلة".

يظهر هنا صوت / خطاب الطفل الذي حُرِم من العيش في ظروف طبيعية ومنحه "ناجي العلي" سئاً محدّدة لا ينمو بعدها، إته رمز الطفولة الفلسطينية التعيسة "حنظلة" الذي يدخل مع الأطفال إلى مجلس الأمن الدولي، ويخاطبهم قائلاً:

«جئت أقول مالكم أمام الله من عذر
يا مجلس أمن هذا العالم كله
أستخدم حق الفيتو لأضيف كلمة إلّا
لأنكم لما أمطرت صواريخ علينا
ركتمونا خارج المظلة
يا أمن العالم كله إلّا من لم توضع القوانين لأجله
صورة لنأخذ صورة
صورة جماعية مقهورة
تخبر الدنيا بأنّ قوانين المجلس مبتورة»

تقدم "حنظلة" رفقة الأطفال إلى ما يسمى بـ «مجلس الأمن» وهو المكان الذي يزعم أعضائه بأنه ميزان الحق لكل الشعوب، مكان تستخدم فيه الدول القوية -الداعمة للاحتلال الصهيوني- حق الفيتو / النقض لقمع الفلسطينيين ومواصلة الدعم لسياسة الاستيطان الصهيوني «لأنكم لما أمطرت صواريخ علينا ركلتمونا خارج المظلة»

كما يخبر "حنظلة" الأعضاء بأن جميع قوانينهم باطلة، وقد طلب أخذ صورة جماعية مع الأطفال بالكوفية الفلسطينية التي تُنمّي عن هوية هذا الشعب.

«أسمعوني الآن!

أكلّمكم بلغة لها في أذنكم صوت

وسأعود»

لقد تحدث "حنظلة" بلغة البراءة والطفولة، لذلك أخبر أعضاء المجلس بأن اللغة المستخدمة -ولا يقصد بها اللسان- هي لغة أطفال مفهومة، وأردف بعدها لازمة "ناجي العلي" الكاريكاتورية «سأعود»، وهو حق العودة إلى الأرض، ولذلك سُي هذا الاعلان «سنعود»، حيث لجأ المنتج لضمير الجمع، فالقضية لم تعد تخص الطفل "حنظلة" فحسب بل العودة حق مشروع لكل أطفال فلسطين.

بعد «حنظلة» يأتي طابور أطفال هم كلهم «حنظلة»، "روح الروح"، "كمال"، "يوسف"... وغيرهم. ما يمكن قوله إن الخطاب المنطوق لُفَظ باللغة العربية وترجم كتابيا باللغة الإنجليزية. وقد استخدم الأطفال لفظة «اخرسوا» العربية والمترجمة إلى الإنجليزية بلفظة «Shut up»، ولكنهم ردّوها بلغة المحتل -أو باللغة العبرية «إشلوب»-، وهذا ما يرجعنا لمقولة "حنظلة": «أكلكم بلغة لها في أذنكم صوت». يطالب الأطفال مجلس الأمن بالسكوت وعدم الكلام، فتخبرهم الطفلة الأولى بأنهم ممنعون من الكلام وذلك «لأنكم لم تسمعوا قبلا قنابل الموت».

تغاضى كل العاملين في مجلس الأمن عن إبادة الفلسطينيين وخاصة الأطفال منهم، وهذا ما جعلهم يتحدثونهم في خطابهم هذا:

«سنرد على الإبادة بالولادة

من بطن الأنقاض ولادة

من بطن الخيام ولادة

كلما يقصف ولد تنفجر الأرض أولادًا»

لقد جمع هذا الخطاب المنطوق بين متناقضات لفظية تندرج ضمن حقلين مختلفين هما: الحياة والموت. الموت: الإبادة (القتل)، الأنقاض (قتل)، الخيام.

≠

الحياة: الولادة.

وقد بدأ الخطاب بالحياة التي تسبق الموت. وكأن فلسطين هي طائر الفينيق أو العنقاء الذي يولد من رماده، وهي كما قال حنظلة: «مع كل شهادة وفاة شهادة ميلاد جديدة».

استحضر منتج هذا الخطاب الإشهاري «سنعود» ثلاثة أزمنة، هي ليست مختلفة عن بعضها كل يكمل الآخر، فالماضي هو "حنظلة"، والحاضر هو قضية فلسطين حاليا، أما المستقبل فهو "حنظلة الجديد" هذا الأخير جسده الأطفال من خلال خطابهم التفاوضي -المفعم بالأمل- الآتي:

«سأعود وأعيد الزيت للزيتون

والخبز إلى الزعتر

سأعود ونعيد الآذان في الأقصى

الله أكبر

سأعود وأعيد القمح في السنبلة

وأعيد وجه حنظلة لحنظلة

سأعود وأعيد اللعب على البحر

والسمك يُشوى طريا على التهر»

يحمل هذا الخطاب الطفولي عدة أنساق اجتماعية ودينية، فقد تحدث عن حق العودة إلى الأرض المسلوقة كما كانت عليه سابقا، فأخبرنا الأطفال / "حنظلة" بأنهم سيعيدونا الزيت للزيتون، وكلما ذكر الزيتون ذكرت فلسطين، لفلسطين قصة قداسة مع هذا الزيتون، ولأنه يمثل أحد مقوماتها الاجتماعية فقد عمد الصهاينة لسياسة إحراق أشجاره.

كما يعمل هؤلاء الأطفال على إعادة الخبز إلى الزعر، وكما يرتبط الفلسطينيون بالزيتون فإن من تقاليدهم الاجتماعية عجن الخبز بالزعر، ويأمل هؤلاء الأطفال ملأ سنابل وطنهم قححا. الحديث عن الزيت والزيتون والخبز والقمح والزعر كلها دلالة على سياسة التجويع التي مارسها المغتصبون الصهاينة على الفلسطينيين وخاصة في غزة في هذه الآونة. لا يود الأطفال إرجاع ما سلب من الأرض فحسب بل أيضا إعادة الماء والبحر والنهر...

نجد نسق الطفولة في هذا الخطاب عندما ردّد الأطفال:

«أعيد وجه حنظلة لحنظلة

سأعود وأعيد اللعب على البحر»

لقد أخبر "ناجي" قراءه بأن "حنظلة" لن يلتفت بوجهه ولن تكشف ملامحه إلا عندما تُعاد حقوقه وخاصة حق العودة، عودة الطفولة لمهداها المسلوب، وعودة حق اللعب، عودة الطفولة للأطفال الذين حُملوا الجوع والتشريد ...

ما نلاحظه في هذا الخطاب هو تكلم "حنظلة" الماضي والمستقبل على لسان الأطفال وبصيغة المفرد «سأعود / أعيد»، ولكن حينما قال / قالوا: «سأعود ونعيد الآذان في الأقصى الله أكبر»

استخدمت صيغة المفرد «سأعود» والجمع «نعيد»، التي ارتبطت بالنسق الديني في إرجاع الإسلام إلى الأقصى والقدس وفلسطين.

III. الصور المتحركة:

حاولنا في هذه الدراسة التركيز على الصور المتحركة بدلا من الصور الثابتة، و«ليست الصور ضربا معينا من العلامات ليس غير، بل شيئا يُشبه الممثل على خشبة المسرح التاريخي أيضا، حضورا أو شخصية تتمتع بمكانة أسطورية، تاريخا يوازي ويشارك في القصة التي نقصها على أنفسنا وحول تطورنا الخاص من مخلوقات خُلقت على صورة الخالق، إلى كائنات تصنع نفسها وعالمها على صورتها»⁶.

لا يمكن أن توضع صور الخطابات الإشهارية عبثا، ولكن لابد من اختيارها مواكبة للموضوع وللجمهور/ المشاهد، فكل صورة هي وثيقة تاريخية تحمل دلالة ما. وهذا ما حملته الصور الموجودة في الخطاب الإشهاري العربي الكويتي.

قمنا بتقسيم إعلان «سنعود» من حيث الصور المتضمنة- إلى عدّة أقسام:

- 1- يبدأ الخطاب الإشهاري «سنعود» بظهور أطفال من الجنسين الذكري والأنثوي، أيديهم مربوطة وراء ظهورهم، ملامحهم واضحة، جسّد بعضهم الشخصيات الطفولية التي ذكرناها قبلاً "يوسف"، "روح الروح"...، تتوسطهم شخصية "حنظلة"، يظهرهم في ساحة مرفوع فيها أعلام العالم. تنقل لنا هذه الصورة بأن كلّ أطفال فلسطين ما هم إلّا "حنظلة"، فقد جرد المستعمر الصهيوني هؤلاء الأطفال من كل حقوقهم، فحملوا فكر "حنظلة" من خلال وضع أيديهم وراء ظهورهم، لكن المفارقة الوحيدة هي إظهار وجه الأطفال عكس "حنظلة"، وربما يدل إظهار الملامح على المواجهة العلنية، خاصة أنهم توجهوا إلى المركز -مجلس الأمن- الذي أصدرت فيه القوانين لقمعهم.
- 2- يدخل هؤلاء الأطفال ومعهم "حنظلة" إلى مجلس الأمن الذي تظهر فيها مجموع شخصيات، هذه الأخيرة من ذوي البشرة البيضاء إلّا امرأة واحدة سوداء البشرة.
- دخل الأطفال إلى مجلس الأمن الدولي دون ردع من قوات الأمن، ودون وثائق تُجيز لهم الدخول، خاصة أنّ هذا المجلس هيئة عالمية مخصصة للكبار وليس للأطفال. ولكن عندما سكّت الساسة والمسؤولون الكبار جاء أطفال فلسطين للمرافعة ضد ما يحدث لهم.
- ما يلفت الانتباه هو تلك المرأة السوداء من بين الجمع أصحاب البشرة البيضاء، السؤال المطروح: لماذا ركّز منتج الإشهار على إظهار المرأة السوداء؟ هل هي مع القضية الفلسطينية أم ضدها؟
- 3- يأخذ الأطفال وضعية نوم فوق أسرة ملاحي، محاولين نقل الوضع المرير الذي تمر به الطفولة الفلسطينية، طفولة هاربة من الواقع الصهيوني، والملاحي هي دلالة على التشريد والتهجير ومحاولة طمس الهوية.

- 4- يرفع الأطفال لائحات مكتوب عليها «Veto» وهو حق النقض، لا يملكه إلا الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، وهي مجموع الدول الكولونيلية الكبرى (أمريكا، بريطانيا، روسيا، الصين، فرنسا)، ثم تنزل من الأعلى إعلانات مكتوب عليها «يجب إخلاء الحياة منكم».
- لقد جاء الأطفال -الذين يمثلون "حنظلة" وفلسطين- إلى هذا المجلس وكلهم رفض للوضع الراهن، كما تحمل العبارة الأخيرة «يجب إخلاء الحياة منكم» معنًا عميق، وهو ما تسعى إسرائيل لتحقيقه عن طريق الإبادة الحالية في غزة خاصة.
- يحمل الطفل الفلسطيني وعيا كبيرًا حينًا يُعلِّمنا بكشفه لأهداف إسرائيل ومجلس الأمن، وهو محور الفلسطينيين من على وجه الأرض.
- لا يمثل أطفال هذا الإعلان الطفولة الفلسطينية فحسب بل يمثلون الوعي الطفولي بالقضية، وعي بأن هويتهم العربية والإسلامية في خطر.
- 5- ينهض بعد ذلك رجال مجلس الأمن، وتؤخذ صورة لـ "حنظلة" والأطفال وهم يضعون الكوفية الفلسطينية على أكتافهم، وتمثل الكوفية رمزًا للقومية الفلسطينية، والتي أصبحت فيما بعد رمزًا للمقاومة.
- 6- يرفع الجميع يده في المجلس إلا المرأة السوداء التي يرفع يدها الرجل الأبيض. لا ندري لما رفع كل الأعضاء أيديهم، لكن الجلي أن المرأة ضد القرار الذي اتخذه أعضاء المجلس الدولي للأمن. والغامض في هذه الصورة هو ما اتفق عليها الأعضاء، وخاصة مصادقتهم برفع الأيدي، خاصة أن الأعضاء الدائمين -وبالأخص أمريكا- لم يبقوا موقفًا عدوانيًا من الحرب الإسرائيلية على فلسطين في الوقت الحالي -بداية من شهر أكتوبر إلى يومنا هذا-، وهذا ما يضع تفسير هذه الصورة المتحركة إشهاريا بين احتمالين، الاحتمال الأول هو تأثير الأطفال على أعضاء المجلس وتغيير قراراتهم، وربما هو ما يأمله منتج الإشهار، والاحتمال الثاني هو أن رفع يد الأعضاء دلالة على رفض تغيير القرارات السابقة، وبالتالي نستثني المرأة السوداء وربما هي الوحيدة التي ساندت قضية الأطفال الفلسطينيين.
- 7- ثم يطلب الأطفال و"حنظلة" من الجميع السكوت بحركة وضع السبابة على الشفاه، ونزع الميكروفونات من أمام الأعضاء، إذ لم يعد الكلام والحوار حول القضية الفلسطينية -في مجلس الأمن وغيره- يُجدي نفعًا، لذلك طُلب من الأعضاء السكوت، وما نزع الميكروفونات إلا دلالة على الملل من أصواتهم التي لا تُعني ولا تسمن من جوع.
- 8- يقوم الأطفال بعد ذلك بقرع أواني الطعام بالملاعق، والكل ينظر إليهم باستغراب، إلا المرأة ذات البشرة السوداء -التي سبق الحديث عنها- تلحق بوضعة بيضاء.

إن حركة الأطفال في قرعهم للأواني الفارغة دلالة على سياسة التجويع التي انتهجها الكيان الصهيوني، حرب المجاعة خاصة في الفترة الحالية، وهو ما أوصل أطفال غزة إلى أمراض كثيرة وموتى.

ما يلفت الانتباه هو التنديد بسياسة التجويع من جهة، وصورة المرأة السوداء التي رفضت رفع يدها ولكنها تحمل بوضة بيضاء، تحمل الصورة الأخيرة تأويلين: أمّا الأول هو أنّ المرأة السوداء ضد الفلسطينيين وتحاول استغلال الأطفال بعلق البوضة، وأمّا الثاني فرمّا هذه المرأة تعاني الجوع أيضا فحملت البوضة في لحظة التنديد بسياسة التجويع.

9- يقوم أحد الأطفال وسط المجلس بفتح كف يده، مكتوب عليها عبارة «بني آدم». يخبرنا هذا الطفل-الذي يمثل الطفولة المحرومة من النمو الطبيعي- عن حقهم كأَيّ طفل في العالم بأن يعاملوا بكل إنسانية لأنهم من البشر، ولكن كل الصور التي مرّت تدل عكس ذلك، فقد عُوِّمِل الفلسطينيون عامة والأطفال خاصة على أنهم ليسوا بشيء جازا الحرب والقصف واللجوء والتجويع... وغير ذلك.

إنّ المُدَوّن على كفّ هذا الطفل ما هو إلا لافتة تطالب بحق الحياة الآدمية التي سُلبت منهم سواء من طرف قرارات الدول الدائمة في مجلس الأمن الدولي أو من طرف الاستعمار الصهيوني.

10- يدخل الأطفال إلى وسط المجلس وهم يحملون على أكتافهم أكياسا بيضاء ملطخة بالدماء مكتوب عليها باللون الأزرق «طحين»، وتدخل بعد ذلك امرأة تجرّ خلفها جثة طفلين.

إنّ هذه الأكياس التي تُشبه في لونها وطريقة لفها الأكفان ما هي إلا جثث الشهداء، وما طبع عليها دلالة على هجية القمع الذي وصل إلى درجة أنّ جثث الموتى / الشهداء أصبحت مُتَنَاقِلاً يُشبه الطحين نتيجة القصف المستمر من الأزرق -بني صهيون-، حتّى أنّ منتج الخطاب الإشهاري «سنعود» وفق لحد كبير في الجمع بين لوني العلم الإسرائيلي الأبيض / الكفن والأزرق / الإبادة.

11- يُطل أعضاء المجلس على وسط القاعة فلا يجدون الأطفال وتبقى أحذيتهم ووسطها الطفل الصغير "حنظلة".

لقد غادر الأطفال المجلس حفاة مثلما غادر "حنظلة" فلسطين حافيا، لأنّه -كما قلنا سابقا- لم تعد القرارات الدولية ذات مصداقية.

12- تظهر بعد ذلك خريطة فلسطين وهي تحمل صور هؤلاء الأطفال، وعلى يمينها صورة "ناجي العلي" و"حنظلة".

تدل الخريطة على هوية انتماء الفلسطيني وتمسكه بحق العودة وحق استرجاع الأرض، ستعود فلسطين لـ "حنظلة" وسيعود "حنظلة" لفلسطين.

13- ما يلحظه المتلقي أو المشاهد أنّ هذا الخطاب في معظمه هو عرض للواقع الأسود والمؤلم للفلسطينيين، أو بالأحرى معاناة الأطفال منذ زمن إلى يومنا هذا. وقد أنهى المنتج إعلان «سنعود» بالعود الأحمّد، حينما قدم في الختام الجانب المشرق، أو الواقع الذي يأمل كلّ فلسطيني أن يعيشه، حيث تظهر صورة الأرض الخضراء، وصورة اللّعب في البحر، والفرح باد على وجه الجميع كبارًا وأطفالًا.

كما نجد الفرّح متجلبا في الغناء والرقص الشعبي وارتداء اللباس التراثي الفلسطيني، وكلّ هذا تجسيد لهوية هذا الشعب الذي يأمل العودة لأرضه وبحره وأفراحه وهويته.

يُجتمّ هذا الإشهار بصورة "حنظلة" ماشيا وهو يرفع اصبعي السبابة والوسطى.

الخاتمة:

من خلال البحث عن «هوية "حنظلة" في الخطاب الإشهاري العربي «سنعود»»، توصلنا إلى مجموعة

نتائج أهمها:

1- أبقى المنتج للخطاب الإشهاري «سنعود» على شخص "حنظلة"، والذي يمثل العودة إلى الأرض، كما أنّه رمز الطفولة.

2- نقل لنا الخطاب المكتوب في هذا الإشهار الفكر الفلسطيني الطفولي الواعي بالقضية والمقاومة والشهادة.

3- استند الخطاب الإشهاري إلى ما نقلته وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة، وعرض لنا صورًا مختلفة لإبادة أطفال فلسطين/ غزة، وهذا عن طريق استحضار مشاهد حيّة وأصوات حقيقية ممثلة في "أبو ضياء نهبان" وحفيدته، و"كمال" وإخوته الأطفال، و "أم يوسف" وابنها. وهذا ليكون الخطاب الإشهاري أكثر مصداقية.

4- يمثّل خطاب "حنظلة" هنا الفكر الذي جسّده "ناجي العلي" في رسوماته الكاريكاتورية، وكأنّ المنتج نقل "حنظلة" من الصوت الضامت إلى الصوت المسموع.

5- تجلّت شخصية "حنظلة" في كل طفل فلسطيني في الإشهار، وكل طفل ما هو إلا "حنظلة".

6- حمل الخطاب المنطوق لازمة "ناجي" «سأعود» و«سنعود» من خلال الأمل في مستقبل مشرق يختلف عما هو عليه في الواقع الآتيّ للفلسطينيين عامة وللأطفال خاصة.

7- أثّرت الصورة في الخطاب الإشهاري أكثر مما أثّر الخطاب اللّساني سواء المكتوب أو المنطوق، من خلال استحضار مشاهد حقيقية من جهة، والعمل على نقل صور إنسانية من جهة أخرى كصورة الجثث وقرع الأواني الفارغة، ... وغيرها.

8- يلحظ المتتبع لإعلان «سنعود» احتواءه على أنساق اجتماعية (التشرد، الجوع...) ودينية (الشهادة، الأذان...) وثقافية (الغناء، الرقص، اللباس...).

9- ما "حنظلة" في هذا الخطاب الإشهاري سوى صورة الطفولة التعييسة التي تأمل العودة، ولكن ليس العودة إلى نفس الواقع، بل العودة إلى فلسطين جديدة مستقلة.

هوامش:

- 1- حمدان خضر السالم، 2014، الكاريكاتير في الصحافة، ط¹، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر، ص: 31.
- 2- منى الحديدي، 2002، الإعلان؟، ط²، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ص: 15.
- 3- محمد عيلان، 2002، بنية النص الإشهاري، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ع7، ص: 217-216.
- 4- إعلان زين لرمضان 2024... "سنعود".
- 5- مريم الشنقيطي، 1440هـ / 2019م، الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، دراسة تداولية، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، السعودية، كتاب: 29، ع: 513-514، ص: 15.
- 6- و. ج. ت. ميتشل، 2002، الأيقونولوجيا: الصورة والنص والأيديولوجيا، تر: عارف حذيفة، ط¹، المنامة، البحرين، هيئة البحرين للثقافة والآثار، ص: 27.

قائمة المراجع:

أولاً: المصادر:

- 1- إعلان زين لرمضان 2024... "سنعود".

ثانياً: المراجع:

I. المراجع العربية:

- 1- حمدان خضر السالم، الكاريكاتير في الصحافة، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، 2014، ط¹.
- 2- منى الحديدي، الإعلان؟، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، مصر، 2002، ط².

II. المراجع المترجمة:

- 1- و. ج. ت. ميتشل، الأيقونولوجيا: الصورة والنص والأيديولوجيا، تر: عارف حذيفة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، البحرين، 2002، ط¹.

ثالثاً: المجلات:

- 1- محمد عيلان، بنية النص الإشهاري، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2002، ع: 07.
- 2- مريم الشنقيطي، الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، دراسة تداولية، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، السعودية، 1440هـ / 2019م، لك: 29، ع: 513-514.